فإن قلت فدعوه لأن ينجي أهله وما كان عنده أن ابنه منهم دينا
فلما أشفى على الغرق تشابه عليه الأمر لأن العدة قد سبقت وقد عرف الله حكيما لا
يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب إماطة الشبهة وطلب إماطة الشبهة واجب
فلم زجر وسمي سؤاله جهلا قلت إن الله عز وجل قدم له الوعد بإنجاء أهله مع استثناء من سبق
عليه القول منهم فكان عليه أن يعتقد أن في جملة أهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير
صالح وأن كلهم ليسوا بناجين وأن لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في أنه من
المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على أن اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه إني أعوذ بك أن
أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتك وإلا تغفر لي ما فرط
مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي أكن من الخاسرين أعمالا وقرئ يا نوح اهبط
بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا أو مسلما عليك مكرما وبركات
عليك ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك يا نوح وعلى
أمم ممن معك يحتمل أن تكون من للبيان فتراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة
لأنهم كانوا جماعات أو قيل لهم أمم لأن الأمم تتشعب منهم رفع بالابتداء وقوله سنمتعهم صفة والخبر محذوف
تقديره وممن معك أمم سنمتعهم وإنما حذف لأن قوله ممن معك يدل عليه والمعنى أن السلام منا
والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشئون ممن معك وممن معك أمم ممتعون بالدنيا
منقلبون إلى النار وكان نوح عليه السلام أبا الأنبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن
كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم
القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم
أخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالأمم الممتعة قوم هود
وصالح ولوط وشعيب تلك إشارة إلى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع
على الابتداء والجمل بعدها أخبار أي تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة إليك مجهولة

عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل إيحائي إليك وإخباري لك بها أو من قبل هذا
العلم الذي كسبته بالوحي أو من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة
وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح عليه السلام
ولقومه إن العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه أن قومك الذين
أنت منهم على كثرتهم ووفور عددهم إذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل
منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا أهل بلده أخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف
على أرسلنا نوحا وهودا عطف بيان وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ
بالجر صفة على اللفظ إن أنتم إلا مفترون تفترون على الله الكذب
باتخاذكم الأوثان له شركاء ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شأنهم
النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها إلا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء
منها لم تنجع ولم تنفع أفلا تعقلون إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها
أجرا إلا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك وقيل استغفروا
ربكم آمنوا به ثم توبوا إليه من عبادة غيره لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان والمدرار
الكثير الدرور كالمغزار وإنما قصد استمالتهم إلى الإيمان وترغيبهم فيه بكثرة
المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا
عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شيء إلى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة القوة وا
لبطش والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل أراد القوة
في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام
نسائهم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه
فقال إني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار
فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشر بنين

Copyright © King Saud University